حـــمّى الفـــساد

لا يخفى أن الفساد عاهة كبيرة وهو سارٍ مجرى الدم في جسد كثير من الناس حتى استفحلت، فتصوّر الفاسد أنه مصلح ، ويتبجّح بين القوم ولا يعلم إلّا تشخيص فساد غيره دونما الالتفات إلى نفسه التي أوغلت في تيه الضلال فصار هو الضلال الذي أخذ يعكس ظلماته في المجتمع بعيدًا عن كل هداية أو رجوع إلى الحق؛ لأنه قد خُتم على قلبه فلم يبق فسحة لبريق الأمل؛ ليستقيم بها أمره ويتوجّه نحو التخلّص من درن الانحطاط المترتّب على تراكمات الفساد الذي ساد حتى عُدّ محاربه محاربًا ومصارعًا للجبل.

ومما ينبغي أن ندركه أن الظاهر يحكم بأن الجميع يحارب الفساد، والحال أن كثيرًا منهم متورّط به من حيث يعلم أو لا يعلم. فأما الذي لا يعلم فذاك الجاهل وقد يكون قاصرًا، وأما الذي يعلم فنراه يتفنن في سوق الذرائع؛ ليبرر لنفسه الفساد الذي بات يعتاش عليه كثير من الناس وفي مختلف الجوانب الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغيرها.

ومن المناسب أن نعلم أن الفساد لا لون له و ولا طعم ولا رائحة في ذاته، ولكنه يفضح صاحبه بمجرّد أن يُبتلى به ، ولا يتحدّد بزاوية دون أخرى، فالطبيب الذي يتاجر بمهنته الإنسانية فاسد والعالم الذي يقدّم علمه ليفترش لنفسه مكانة في المجتمع فقد فسد رأيه، والمعلّم الذي أسرف في ضياع وقت الدرس لهوًا فاسدٌ، والجندي الذي يقضي وقته بين الغفلة واللهو فقد ضيَّع ميثاق الشرف الذي تقصده الجنديّة في حمل القضيّة الوطنيّة، وعموم الموظفين الذين بات همّهم تعداد ساعات الدوام دون أن يقدِّموا خدمة فقد اقتنعوا بالفساد المقنّع، والحكومة بأركانها التي ارتضت أن تكون وسيلة لضياع حقوق الوطن والمواطن فاسدة، ففي كل زاوية من زوايا المجتمع قد نجد فسادًا وفاسدين، وأعظم من كل ذلك أن يكون الفاسد مدافعًا عن فساده غير متأسّف ولا نادم حتى يفوته الرجوع الذي منعه الحجب، فيكون المآل إلى التيه والضلال بين الناس، فلا يستقيم أمر في المجتمع ولا يُستجاب الدعاء وإن تعالت الأصوات وبلغت القلوب الحناجر.

إن مسؤوليّة الجميع الوقوف بوجه الفاسدين الذين يشرّعون للفساد، ومقاومة الفساد قد تبدأ بشخص أو نفر كخطوة الألف ميل، لكنها مع إصرار المصلحين تصل إلى الخطوة الأخيرة، فبيت الفاسد واهن و إن أظهر قوّته، وقوّة الإصلاح كبيرة و إن قلّ أنصاره. لذلك فالجميع عليهم أن يجتهدوا في طلب الإصلاح و يسعوا إلى ذواتهم وكلّ من منطلقه وعمله ووظيفته؛ لنحقّق المرتبة الأولى فننطلق منها إلى الآخر فيسهل علينا حينما تكون النوايا صادقة والعزيمة ثابتة والهمّة عالية، وعلينا أن نعلم أن النجاح يبدأ بالعلم والمعرفة وهذا السرَّ دفع أسلافنا إلى أن يصطفّوا على أبواب المكتبات كما نصطفّ اليوم على أبواب المقاهي والأسواق والحليم بالإشارة يفهم.